ماضٍ إليَّ برفقتي

أحمد سالم

تشكيل الأدبية
TASHKEEL

الطبعة الأولى

ماضٍ إليّ برفقتي

نصوص

أحمد سالم

٢٠١٥\٢٠١٦م

الإهداء:
ليس ثمة مَن أراهن على بقائه.

تمهيد:

وحيد لكنني فيّاض، ضوء لم يجد نافذة يشع خلالها.

ماضٍ إليّ برفقتي

هكذا بلا دلائل، على الأقل في رأيي أنا المحقون بالشك دومًا.. ثمة دخيل يشاركني أيامي ولحظاتي على أقل مما يجب، كهذا الذي أكونه الآن بكامل هيئته وأفكاره وطريقته في الضحك والمشي، وحتى الغباء أيضا.

لكنه لست أنا!

إني أشبه ما أكون في أزمتي هذه سالكًا ممرًا ضيقًا في ساعة متأخرة، يتراءى ظلي من هول شعوري، وكأنه شخص آخر يزاحمني ويسخر من كوني مسافر إلى الأمس، حيث لم تكن قدمه تجرؤ أن تمتد أمامي وتعرقل خطواتي. أشعر وكأنني أراوح مكاني، فلا الساعة المتأخرة تتقدم وتشغل رقمًا ثانيًا، ولا الممر يكف عن الالتصاق بحذائي مثل علكة كلما رفعت قدمي استطالت وتمددت.

أتساءل الآن، لِمَ يعرقلني وأنا أمشي إلى الوراء أصلاً؟

صعب هو شرح هذا، ما أعرفه شغفي إلى ذاتي الأولى، ماضٍ إليها رفقة من كنت أحسبه أنا، أمشي محاذاته وإن كنت عاريًا منيّ سوف أصل وأجدها تترقب وصولي.

***

«في داخل كل إنسان تعرفه إنسان آخر لا تعرفه»
من يعزيني؟
إن كنت لا أعرف أيهما أنا؛ كيف وقد نالت مني الشكوك وحولتني إلى هلام حتى الهواء يخدشه، ويترك فجوة تتسرب عبرها تلك التصورات الشائنة.
كم يشق عليّ ذلك أحيانًا، أن أؤدي ما هو غاية في السهولة، أن أكف عن التوغل في عمق كل شيء أراه أو أعتقده.
يقظ على الدوام، نظرتي الأولى شبه معطوبة، ما يجعلني أسبر عمق كل شيء أراه أو أشعر به في داخلي وأمنحه شكلاً ومعنًى آخر.
النظرة الأولى في زعمها أن هذا حائط، وفي عمق نظرتي الثانية أقول حائط أيضًا، أجل، لكنه سوف يسعل في يوم ما ويلفظ هذا المسمار العالق في حنجرته، ثم تسقط الصورة، ثم يخرج الطفل المبتسم من تحت البرواز، حزينًا متأثرا بجراحه، يعطي منديلا كان في جيبه للسقوط.

الثالثة وشيكة بأن تقودني للجنون، لقد لمست هذا في تحديقي المتواصل نحو الأشياء الدقيقة، ما أن أشعر بقرب دخولي إلى عالمها واكتشافه؛ تحول تركيزي لشرود ذهن يلقيني في حلقة مليئة بالوجوه التي أعرفها، كما لو أنها تدرك مدى تخوفي وتهربي من ذاكرتي.
فكم تكون النظرة مكيدة تجذبك إلى شيء ما، يقود إلى مكان آخر ليس له قرار.
وكم يكون الذي دعاك للتحديق في شيء أمامك هو ذات الشرود الذي قاد إليك شخص آخر، بالنظر إلى شيء مختلف عن الذي تراه.
مَن كان ليصدق أن هذه الرؤى المتفاوتة تعود لعينين في رأس واحد، بل من يستطيع الجزم أن خلفهما شخص واحد؟

إني تائه فيّ، وما من باب لهذا المأزق الكبير لكي أخرج من خلاله.

أكره أن يكون لي جزء آخر؛ نصف ثان يكمل ما أنا عليه من نقص، أفضل أن أكون المكمل لي، حتى وإن بدوت في ظاهر أمري؛ لست موجودًا من الأصل

١٢

قصبة جوفاء

كثير هو الكلام، لكن، هل تخيلت كيف سيبدو المشهد لو أن البشر لزموا الصمت في لحظة واحدة؟
مهول ومُستغرب أليس كذلك؟
هذا لا يقل عن كون سكوتك مدهشًا ومبهرًا أيضًا، بل في منتهى الغرابة.
إن المرء إذا سكت عما في خاطره يكون كالناي الصامت، ليس أكثر من قصبة جوفاء.
على صمتك أن يكونِ مهمًا لديك، تندهش له كما لو صمت جميع الناس، وإن تحدثت فتجلِ، وقل ما تعنيه وما لا تعنيه، فليس ثمة من يسمعك.
إن الكلام العفوي يخرج دون علمك، ولهذا تشعر أنك مغلول بالصمت منذ وقت طويل، أما العالق لا بد أن يُستنطق، كأن تمد يدك إلى جوفك وتجذبه برفق، مثلِ طفل يرفض عن النهوض من سريره.
الكلمات أطفال، إن تدللها تقف إلى صفك مهما كانت قاصرة.

لا أدري لماذا يتعين علينا اختيار الوقت المناسب لكي ندلي بأصواتنا، كان أهم لو نظرنا للذي نود قوله مثل شيء طارئ، فبعض الكلام لا نملك الصبر على تلظيه واشتعاله في حناجرنا، وليس كل شيء نقوله في حينه يكون حارقًا لسامعه، الكلمات مع تأخر الوقت تنطفئ، وتترجل عن النبرة التي كان ينبغي أن تنطلق منها، ولا يمكن للجذوة الأولى إضرام إحساس هذه الكلمات المترمدة من جديد.
أوان الكلمات يعني إبداءها فور تشكلها في ذهنك، لا أن تنظّر في عواقبها إلى أن تتحاشد معها كلمات أخر، فتختنق والوقت كل الوقت، لن تنبت له يدان لينعش قلبك المسجى على عتبة صمتك.

هذا الوقت سانح لكل شيء، للكلمة التي آثرت عليها الصمت، للكلمة التي أوثرت على الصمت، للكلام الذي لم تقله بعد.
إنه في صالحك ما دمت تشعر بمروره.

إن ما يحدث لنا باستمرار يظل مألوفًا، وحدها ردة الفعل تجيء بصورة غير متوقعة!

نهاية فارقة

كم نحن؟ أنا؟

في الكتابة تستطيع الحصول على الدور المناسب، تجسد الشخص الذي طالما تمنيت ودأبت أن تصبح مثله، لكن الخيبة أن تجد نفسك غير قادر على تزوير حقيقة ما أنت عليه، فالسبيل إلى ذلك يتطلب منك المرور على ذاتك القديمة لكي تحمل متاعك وتغادر.

إنها أقدر من أن تتركك وشأنك، فإن استطعت يومًا أن تتملص منها فلن تنس مَن كنته، أنت فقط تستطيع حث ذاكرتك على تصور القادم من أيامك، وسيظل شبحك القديم متربصًا في كل منعطف وتطلعٍ تزوره رؤياك المستقبلية.

ليت الأمر بهذه السهولة!

أن يمسي أحدنا حبة بن، بذرة ليس هنالك فرق، الأهم أن ينسلخ عن هذه القشرة الكينونية البالية؛ دون أن تلحقه ملامة الذات المتعجرفة وتحسده على ما صار إليه.

كم أتمنى حقًا لو أني حبة بُن، يحصدني مزارع فقير مع ملايين الحبات ويدكنا في خيش محكم، ثم ما نلبث نتفرق ونتبعثر فوق صفيح ساخن، فتغدو المحمصة إلينا بمثابة تأهيل لنهاية أقل ما تكون رائعة.

أجل أريد هذا.

أصير حبة بُن في علبة مغلفة بعناية، وأسرع ما تكون للتحضير، ثم تنتهي حكايتي برشفة تتلوها إيماءة رأس كناية عن دخول مزاج أحدهم.

لهي نهاية أحب إليّ من أن أظل حيًا في عداد الموتى.

كم هي فارغة حياتي، مثل حادثة طويلة لا يستذكر من وقائعها سوى أنها أفضت لنهاية ليست غريبة على أحد.

١٨

مخيلة لا تخصني

منهوك مما ليس يجيء، من أني في ترقب واحتراس يجعلان أيامي تمر مشوبة بشعور خانق.
متخوف ومتوتر من لا شيء، كما لو أني متروك في مخيلة لا تخصني، بفكرة ملولبة تصيبني بالدوار كلما حاولت تخليصي منها، حد أني أشعر بقرب الاصطدام، بما هو أعظم من تكهناتي.
الحياة في نظري مصابة بعمى الألوان، واهنة لا تقدر على تمييز أشعة الشمس التي ركزت أوتادها في مسامات حظي وصيّرته نذير شؤم لا يكاد يتوقف عن النعيق. مأزوم أنا، أقول أشياء غريبة وفضفاضة على نحالة إدراكي ورجاحتي، إن لما يسيطر عليّ يد خفية تعبث بي، تجعلني أقول بأن هذه الأرض ليست إلا ضريح كبير، وما نحن سوى شواهد عديدة متباينة النقوش والسمات.
لقد أوشكت على الجنون إلا أني فعلت، فالصمت بات لدي حديثًا طويلاً، والحديث رسالة طويلة لم يدوّن على نبرتها اسم الشخص الموجهة إليه، تائهة في العدم.

أنا لا أدري ماذا أفعل حيال تناقضاتي النفسية مع ما أؤمن به لحظة استيقاظي من هذا الكابوس المتقطع، حتّمَ عليّ عيش هذين الدورين للأبد، منفصم إلى ذاتي الخفية، وعائد منها إلي.

وحين أرى بأن الحديث صمت طويل أضطرب إذا ما سمعت صوت أمي آت من بعيد، من ذاكرتي التي تنزّ صور وأصوات الآخرين كالدم الفاسدً وتبقي على صورها وحدها، وصوتها وحده!

فهل كان صوتها الرسالة الوحيدة التي تملك عنوانًا وحيدًا من كل هذا العدم؟

دائمًا هناك مرة أخيرة، كلمة أخيرة، لمحة أخيرة، وداع أخير.
الذي ليس له نهاية لم يكن شيئًا على الإطلاق.

طعم في مصيدة

كان لا مفر من احترق ما في داخلي، كثيرًا ما أكون خارج هذا البيت الكبير، المنذور بشرارة صغيرة تلتهمه عن آخره.
لقد عمّت الفوضى من حيث أردت ترتيبي، من إغفالي أن بوسع الأشياء المنطفئة والباردة أن تتحول إلى حممٍ حين أمنحها من البرودة وشح الشعور ما يقلل أهميتها.
مَن يدري، لو أني ولّيت من ينوب في صدري ريثما أعود، أكنت احترقت؟
إنه لسؤال مخيف،
للتو أدركت ذلك، عندما قلت أنني سوف أعود، وأنا الذي مكثت طوال عمري خائفًا أن تفوتني فرصة الهرب. لماذا قلت؟ ألأنني خشيت أن تبدو مكيدتي مكشوفة؟
أم هناك ما يجبرني العودة ولو بعد حين.
إني أدور، أدور، بلا هوادة، في حلقة تُعيدني من حيث بدأت وتنتهي إلى نقطة انطلاقي، مشاعري تتآمر، أفكاري متشابكة، وغاياتي طعم في مصيدة لهاتين القدمين الجائعتين للحياة.

ثم لا شيء مما أريد جلاءه يمتثل، التعويذات في صدري لكن صوتي مكبل بالدخان، هذه النار أتت على كل شيء، والحياة، الحياة تقذفني من مكان ما أشرع في الصعود.

يا لهذا المرور البطيء، الوقت يمضي مرتعدًا كالآثم، وليس بوسعي دفعه أو التقدم لمن ينتظره بالشفاعة.

٢٤

نظرة تنتعل الهواء

لم يكن الطريق إلى ما لا أعرفه معبّدًا ولا وعرًا، بعينيّ المتثاقلتين كنت أمشي صوب أيامي المقبلة، الهواء حذاؤها والمدى دليلها الأوحد.
لكني على قدر ما قطعت لم أرَ ما قد يكون غدًا، لا بتصوّره أو بتخمين حصيلة أفعالي لليوم الذي مر، الفائض المعتبر فقط هو أني أيقنت كم كنت جامحًا من منظورين مختلفين، وكلاهما يصبان في آنية واحدة.
واهم حين ظننت أن العين وحدها تبصر كل شيء بوضح، فلكم رأيت أشياء لم يقع عليها نظري قط، كهذا الذي أراه وألمس قربه برؤوس أصابع حدسي ثم يبتعد.

أراه من عين إحساسي بمجيئه، بتأهب حلولي الواهية لقادم مجهول السمة والغاية، أحس به كأنما هناك مقلة واسعة تحدق فيّ باستمرار، تتعقبني من أبعاد مختلفة وزوايا معتمة، تلح في معرفة ماذا يكون مني، وما تدري أني لا أخطط، ولست أعرف كيف يتم هذا على نحو لا يلفت انتباهها. ما أعرفه فحسب، أن قدري لن يضل طريقه إلي، والرصاصة التي لا تستقر في صدري ربما يجهز علي صوتها.

وأن دائمًا ما يكون هناك متسع لشيء ما لا أعرف عنه شيئًا، أنا فقط سأشعر بدنوّه.

كثيرًا ما أجدني عالقًا بين حيرتين، حيرة كيف أنني كنت غبيًا إلى هذا الحد، وما الذي كان حتى لا أشعر بغبائي إلا متأخرًا.

سقوط في غير أوانه

وقف أمام منزلهم وأخذ يتفقد جيوبه كأنه يبحث عن شيء دقيق الحجم، لقد بدا له أصغر مما يبدو عليه في الحقيقة.
ها هو أخيرًا، وبينما هو يخرج المفتاح علقت محفظته بطيات كمه وسقطت، عيناه لم تنصرف عنها طيلة محاولته في إيجاد ثقب القفل، ثم بعد مضي بضع نظرات متبادلة التقطها وفي نفسه إليها عذر كبير، كأنما الذي سقط بين قدميه أحد أطفاله، كان آسفًا لها حتى بصفتها جماد لا يحس أو يستجدي العذر.
دفع باب غرفته، الظلام يعم المكان، يمارس سياديّته في غياب النور، يتمرد على أثاث غرفته، يخيف عقارب ساعة الحائط؛ التي ما زالت تجري مؤملة أن تتخطى إطارها الدائري الموحش.

تسمّر مكانه قليلا، يفكر كيف من الممكن أن تصل يده المرتعشة إلى قابس الكهرباء، قبل أن يهرب الظلام فيراه بهيئته الحقيقية، يتعرف على هذه الملامح الخفية، لقد سئم كونه لا يستطيع فضح هذا الموشح بالسواد، الهارب على الدوام.
هرب الظلام مثلما هو الحظ دائما، يسمع صوت المفتاح يومض مرتين لصراع مع النور ثم يولي هاربًا، لكنه لا يهرب بعيدًا، يتوارى خلف جفني سهره ويمثل أنه البن في قعر فنجانه.
النور يتسيد، ويا لهذا السواد المؤقت، الذي لا ينفك يُسلب في أضعف محاولة لنده الأزلي.
تبدو الغرفة واجمة بعد نظرته الأولى، ملامحها تطرح عشرات الأسئلة، أينك عني؟
الحائط يسأل: لماذا تركتني أستغرق في الوقوف هكذا؟
ولمَ هذه الندوب أحدثتها المسامير على صدري دونما براويز وصور؟
لم يعتلّ همّ الأسئلة التي تتدولب في رأسه وترتطم يمنة وشمالا دون هوادة ورفق؛ لـمَ كان على المحفظة أن تسقط في هذا الوقت؟ أأكمامه على اتفاق معها لتثأر من طيّه لها وإظهارها بشكل غير متسق؟ أكان عليه أن ينظر لتلك الصورة ليتأكد من وجودها؟
الوساوس تعبث في صدره، تغشي عليه فلا يميز ماذا يرى، يعود بين الشك واليقين لمحفظته فيجد أن ملامحه في الصورة ما زالت مثلما رآها أمام الباب، حانقة مدماة، كأنما شج رأسه إثر سقوطها، رآها على عكس حقيقتها الأصل؛ التي كانت وهو في سن التاسعة من عمره، ذات الجودة العالية والملامح المغرقة بالبراءة والبشاشة.
أضحى يحدث نفسه: هل جننت؟
مالي صرت أراني هنا، هل استحال الطفل إلى لعنة تطاردني؟
يقفز أمامي، يجر الغطاء عن وجهي ويفزعني بوجهه المدمى.
من دله عليّ بعد هذا العمر؟
كيف له أن يعاقبني من أجل سقوط غير مقصود، وأنا الذي سقطت مرارا في سبيل نهوضه؟

دفن رأسه بين وسادتيه والأسئلة تحوم فوقه كسرب غربان متوحشة مسعورة، الطفل ما زال يجر الغطاء، وحينا يرتقي الوسائد ويضغط على رأسه.
ما عاد بمقدوره تحمل أذى الطفل، أمسك بصورته فنظر إليها نظرة أخيرة، نظرة غير آسفة رغم أنه لا يملك من صور طفولته واحدة غيرها، ثم مزقها غير آسف على طفولته، وبات يكره نفسه حين كان طفلاً.

إنك تستطيع تأخير شعورك بالندم، تؤجله إلى يوم تلم فيه جميع أوراقك ثم تنهار أمامها دفعة واحدة، فحذار أن تقبض على نفسك وما زال بوسعك أن تهرب.

نبرة في لجة الأصوات

لو أن كل ما يقال هو ما نقصده حقًا لما كان للنبرة داع، كان يكفي صوت واحد لتعبر من خلاله كلماتنا غير متهدجة أو كسيرة، إنما تخرج برتم لا يتبدل وفق أي شعورٍ كان، بصبغة لا يبهت لونها مهما بدا استخدامنا للكلمات هدرًا متعمدًا.

النبرة صوت آخر خفي، يد تلوح من قصد موارب أنْ هذا ما أعنيه، صوت ليس يميزه سوى مَن أعياه الوقوف أمام الكلمات، مَن قرر أخيرًا أن يدفع بابها ويرى من أي مراد صدرت.

هذا الصوت لسنا ننفرد به وحدنا لكي يكون عموم ما نقوله واضحًا، فالأشجار كذلك، والماء، وكل ما هو فوق هذه البسيطة له أن يصدر شيئًا من داخله، سيان بطبيعته أو بطبيعة أخرى غالبة عليه.

كما أن هنالك أصوات صامتة للأبد، وستظل صامتة، وبرغم هذا فهي مسموعة ولها نبرة محيرة، كالهدوء!

ولا أقصد بالحيرة الصمت المطبق، إنما النبرة الخافتة التي ترغمك على الانصات فما تعرف موردها، تلك النابعة من أعماق المكان، من أعماقك بسكينة، بهمس كأنما الروح هي من تحدثك.

ومن هذا، حتى صوت قطرات الماء المتتالية كان يقود إلى أحد أمرين، إما نفادها أو نحت من يقف في طريقها. فهل رأيت كيف ينبغي أن تفرق بين ما تقوله النبرة من مجرى الكلام؟

ثم تعود إلى ما كنت عليه، تشذّب حزنك ما ساعدتك حدة محاولاتك للخلاص، تتقمص دور الهانئ، تبكي، تتجاهل، تسهر، تنام، ثم تستيقظ وحيدًا لكنك متعدد.

٣٤

قبر يركض في العراء

الصورة في المرآة تسأل الماثل أمامها كم استغرقت هنا؟
-مذ رأيتك أول مرة.
كانت تلك المرة الأخيرة التي أراني فيها. عندما صفّد ذلك السؤال ساقي وأودع وجهي للحائط المقابل.
لقد تلاشيت تمامًا من بين كل هذه الصور التي تمسك بها ذاكرتي، وليس ليدي عينان تسترجعان تفاصيل ملامحي إذا ما تحسستها.
أتذكر أن ما أنجذب إليه لا أتورع عن التلبس به، آخذ منه ما يعجبني متغافلاً عما يغيظني، لكنني ما كنت أدري أني سوف أغل هكذا، أجر من تلابيبي لكي أحل مكان شخص آخر ليس له وجود. حسبت أن ما يسر الناس في يؤخذ بدون درايتي، وما يسرني فيهم يكون متاحًا لأن أخذه في أي وقت.
لم أكن أدري أني ونفسي خصمين في معترك الحياة، إلى أن غالبتني على أناي وأصبحت رهينًا ليس يبصر من هذا الجسد سوى وثاقه.

عمري يفوت خلسة، وليس بوسعي أن أمضي إزاءه دونما يستشعر وجود لصين اختبئا صدفة في حقل ذرة صغير، وكان لزامًا على أحدهما أن يصمد مكانه ريثما يتأكد من ابتعاد صوت الخشخشة الذي صدر بالقرب منه.

إن هذا العمر يمضي، وأجهل ما هو المصير الذي سيلاقيه بصفتي لست إلى جانبه، كما لا أعرف ما يفضي وقوفي هنا، ولا أعرف أيضًا، إن كان ذهب ليجلب حتفي معه بينما أظنه ولى فحسب.

إني أفهم أنني أتبدّد بالرغم من أنني لم أكن شيئًا أصلا، مثل فكرة تستطيع تخيلها لكنك تعجز عن تجسيدها على أرض الواقع، ولكن، كيف يملك من ليس له وجود أن يحدث كل هذا الفارق!

والعمر، يا لهذا العمر، لقد بات في ظل زوالي مثل قبر يركض في العراء، لا يجد من يسجى فيه.

أخاف ممن يهددونني بالبكاء، الذي يصرخون في وجهي دائمًا ما يؤكدون أن الحق معي.

عدا ما أجهله، هنالك حقيقتين مستفيضتين يتناوبن السيطرة علي، حقيقة مُرة، وأخرى هشّة لكنها أشد غضاضة وأكثر تعقيدًا.

المريرة هي ما أتلقاه في حياتي الطبيعية، أما الهشّة هي ما تفرضه نفسي في خيالاتها، وهذه في ظل احتدام مشاعري تؤرقني أكثر مما يحدث في الواقع المحسوس، إذ لا فكاك من عقوبة ما اقترفت بداخلي وفيما فكرت أو تخيّلت.

إني محاسب على كل شيء، الذي يُخطط له في داخلي ويفشل أنا من يتكبد خسارته، بالرغم من أنني لست شريكا لهؤلاء الذين يستعمرون صدري.

إنهم كثيرون، بعدد صور تحملها ذاكرة رجل مغترب وربما أكثر. ذخيرتهم أقوى من أن أقصيهم بصمتي ووقاري، أعمّ من أن أشيح وجهي عنهم، فكل الجهات تقودني إليهم وكل يزعم بطريقته أنه أنا.

أنا الذي افتقد صوته من بين كل هذا التراشق بالكلمات، الذي صعُب علي تمييز خطواته من كل هذا الحشد الذي يركض بفمي، أنا المدهوس بأحذية من أكونهم قسرًا، العاجز عن إنهاء لعبة من يجلس على الكرسي أولاً.

بحلول الوقت الذي تتأهب فيه من أجل الحصول على شيء ما، هناك من غادره الوقت منتزعًا منه أشياء كثيرة.

٤٠

ذاكرة لحياة أخرى

مثل حوصلة عصفور هي ذاكرتي. ما أنا متأكد منه أنها ليست أكبر مما وصفتها به، إلا أنها أحيانًا، تبدو مثل ألبوم ضخم وثق فيه كل شيء، وفي أحيان أخرى، أفقر من أن أجد فيه ما يغذي بصري، وما بين هذين الحينين غير المتباعدين تكون انتهت من جلب ذكريات قديمة بلا وعي مني، فتعرضها لحظة لا أستطيع أن أتذكر شيئًا مستغلة كوني متخم بالصور، وتخفيها فور علمها بأنني جائع لذلك الماضي الغني بالكثير منها.

والذكريات، إن كل ذكرى حاسمة بالضرورة عندما أستعيد تفاصيلها، فإما تهدم نفسها أو تهدمني بدلا منها، وفي كلا الموقفين أكون رهينة ركام خانق لا تستطيع فيه أيدي من حولي على انتشالي.

إن وضعي مع ذاكرتي متقلب، لا يركن ولا يستقر على حال واحدة، أظل متخوفا منها كمن أودع أسراره طفلا صغيرًا ثم ما انفك ذلك الطفل يتوعده بإفشائها أمام الجميع، متخوف مما تسره لي، أن تشي لي بذكرى موجعة طويت مع النسيان، أن تكون ليست ذاكرتي من الأصل!

لا أعلم إن كانٍ حدوث هذا ممكنًا: أنْ يكون دورٍ روحي من كل هذه الأحداث هو تسلّم جسد ملطخ بذنوب لستُ مؤهلاً للتكفير عنها، أنْ أكتشفَ متأخرًا أنَّ عقليً كانَ ينقل صورًا عن حياة شخص آخر، ويكيّفني على تكملتها بدلاً منه، أنْ أتفاجأ بعد وقوفٍ طويلٍ على ذكريات كثيرة ومؤلمة أنها لم تكن لي.

كان بإمكان الكلمة التي تراجعت عن قولها تغيير شيء ما نحو الأفضل، لكنك ما زلت تؤمن بأن الأيام كفيلة بتسوية نزاعاتك وهذا وهم، الأيام لا تتكلم.

ورقة يانصيب

لقد مرت علي أيام عصيبة
وأنا على ثقة من أني سأتجاوزها،
لكن الذي لا أثق منه
هو شعوري التواق إلى ما يمضي من عمري،
بحلوه ومره، بسعادته وحزنه.
فأنا من يشتاق لليلة الفائتة
من يظن يوم غد زائف مثل تذكرة يانصيب
من لا يقامر على لحظاته التي يعيشها
لقاء سعادة قد يسبقها الأجل
أنا من يقنع دومًا بلا تمت حتى يأتيك الموت.

منشغل بذاتي كما لو أريد التوصل لشيء فيّ وأخبئه، قبل أن يكتشفه الآخرين فيروا نقاط ضعفي من خلاله.

نقطة دم باردة

حزن عشوائي، هكذا أصف الموقف إذا شعرت بنقطة دم باردة تتدحرج في جسدي مثل كرة ثلج صغيرة، إنه يكون بتلك العشوائية لأنني لا أجد الرغبة في معرفة ما يحدث، سواء في داخلي أو من حولي، كل ما أفعله هو مراقبة تلك الكرة المتجمدة وهي تشق طريقها في أوردتي.

ثم بعد دقيقة، ساعة، ذهاب يوم، يومين، يزداد إحساسي بالتغيّر يستشري في أعماقي ويدفعني للتقصي وراءه برغبة غير مألوفة، كأنما هناك لحظة حاسمة وأخشى بعد هذا الإحساس الهائل أن تفوتني.

فما استمر هكذا حتى أصعق بأن نقطة الدم تلك تحولت لكرة كبيرة من الأحزان، وهذا ما لم أتوقعه، أن تضم بدحرجتها حزنًا كنت تخطيته، حزنًا لم يتمكن من إخضاعي، أن تضم كل الأحزان التي نالت أقل من قدرها ثم ترتطم بقلبي.

بلى، إنها برودة المشاعر، تلك التي ظننت أنها سترة نجاتي وسط هذه المواقف المتلاطمة، هي من أودت بقلبي وأسلمتني لكل شعور غادر صفر اليدين لكي يقتص مني.

البعيد قريب من الذاكرة
القريب بعيد عن القلب
أيتها المسافة:
أين أقف؟

شبر من الماء

أما الآن،
فلم يعد هنالك ما أتشبّث به،
إني أهوي في هذه النفس بلا توقف،
وكأنما المسافة خدعة والقاع وهم.
لقد فقدت السيطرة تمامًا، الأشياء تفلت من يدي كما لو كنت قابضًا على حفنة من الماء، ولا يبقى من شعور أني ممسك بها سوى البلل، فعندما أخطئ أكون مدركا لخطئي، لكني في الوقت نفسه أعيش صراعًا حادًا ما بين إدراكي وجحودي، وعندما أقول الحقيقة في أمر ليس في صالحي تنفذ إلى مخيلتي مئات الأكاذيب التي تلزمني على الإدلاء بها في موقف مماثل، والأدهى من ذلك، أنني لا أشعر بتفاهة حزني على شيء مضى إلا عندما أكون سعيدًا، ما ينغص عليّ سرور تلك اللحظة ويعكر صفوها.

التناقضات، من يجعل مواقفي كثيرة بغير نفع هي التناقضات، إنها تفرض نفوذها حتى في اللحظات التي لا تتطلب موقفًا بعينه، لقد تأصلت في شخصيتي حتى صارت مثل عادة نشأت معي ولا أستطيع بعد هذا العمر الانفصال عنها.

الرغبة، وأي رغبة، تلك التي ليس لها سمة واضحة ومفهومة، فأنا أريد أن أضع يدي على كل شيء، ما أتمناه، ما أريد تحقيقه، الذي أحلم به، الرغبة في إعادة ما يفوتني واستعجال ما هو قادم، في إزالة هذه المخيلة الواسعة واستبدالها بأخرى ضيقة تكفي لحياة واحدة، ثم لفرط ما أعاني، يصبح لا أعظم لدي من التخلص من هذه المشكلة العريضة، من الاستمرار بلا رغبة.

متعبٌ أنا، وفي ظل هذه الصراعات، وغيرها، تكون الحياة حدثت بالفعل وقطعت مجدفًا طويلاً في التقدم، تاركة السباحة في شبر ماء لمن يجيدون الغرق مثلي.

كان ما أفضح أن أكذب
إذا ما قالت النظرة نصف الكلام.

أمشي والحياة جنبًا إلى جنب، وكل في جعبته ما يمكّنه من السخرية على الآخر، لكن إلى أين، وما حاجتنا لقطع هذه المسافة أصلاً؟
لم يكن في تلك الليلة ما أستطيع نسيانه، حين قطعت على نفسي وعدًا في أن أكون العائد الذي انتظرته طويلاً، فمضيت متواريًا عن مشاعري ومساوئي، وانسلخت من كل ما يتعلق بهذه الذات المرقعة من كل جهة بسمات تناقض بعضها.
كنت أركض بسرعة صورة ذهنية، وأتعب ما يكون الركض إذا هربت من ظنونك، من الواقع الذي يحولك إلى شخص آخر لا تطيق تصرفاته وتطلعاته السقيمة.
لكنها الحياة، أوَ أستطيع هزيمتها؟ في حين أن ما بحوزتها ضدي لا يستوي مع ما أملك ضدها؟ ياللصغار.

ماض إليّ برفقتي، برفقة كل هذه الوجوه والشخصيات المتعاقبة على تمثّيلي، في طليعة هذا الحشد الكبير من الذوات، أمضي بمزيد من الصحو، بالمزيد من كل شيء، وعلى الرغم من وفرة هذا كله إلا أنني أفتقد أهم مراد في حياتي، أفتقد من كنته يومًا.
ماض إلي، غير أن نتيجة هذا التعب أشبه ما تكون لهاث لوقوف طويل، فلم أصل، ولن أصل، وسأظل على متن قطار العمر غريبًا يجلس إلى جواري.

يزيد عن رغبة في الكلام
التراجع عن كلام قلته مسبقًا.

عدة نبرات لصراخ واحد

عندما تغيّرنا
لم أكن أول من شعر بالفارق
إنما بجدية الفراق.

***

فقط على الرزنامة لا يشغل الأيام شيئا،
تأكد من أنك تعيش.

***

التعب مما هو مجهول،
تشخيص دقيق لشخص يجلس لوحده.

***

الذي أراد أن يقول حكايته من طق طق إلى...
ظل يطرق ولم يفتح له أحد الباب.

الشعور الأصيل:
هو ما لن تبحث إثره عن طوق نجاة،
أكان حزينًا أو مفرحًا،
هو يغمرك بسرعة فائقة ومدهشة.

***

الدليل على حب الناس
ليس ما تراه من تصرفات ومعاملة حسنة،
إنما في معرفة الدافع الخفي والحقيقي
وراء هذه التصرفات.

***

فقط كن مستعدًا للرفض،
إذ كل شيء تقريبًا
يعتمد على هذه الجاهزية الهينة.

سعيد كما ينبغي أن أظهر للناس،
لا مثلما أشعر.

***

إنه يشبه ربط فردتي حذاء ببعضهما،
أن تستخدم الحب كوسيلة
تحصل من خلالها على مصالحك الشخصية،
فمصيرك تتعثر،
وما لهذا السير أن يستمر طويلاً.

***

إن كان لا بد من البكاء فليكن متواصلا،
أعط الدموع حقها في أن تنهمر بغزارة،
ولتنشج وتبتلع ريقك مالحا،
بلى، تلذذ بحزنك كما لو أنك تودعه للأبد.

ثم أعود وحيدًا كما عرفتني،
باختلاف أنني لم أكن أنتظر أحدًا.

***

ما يتطلب عندما لا تريد رؤية أحد،
هو أن تبقي عيناك مفتوحتين،
حدق بالأشياء، تملّ، راقب المكان،
فإنك لن تستطيع صرف نظر مخيلتك فيما لو أغلقتها.

***

أحب إذا وقعت،
لاَ تحب لأنك تريد التجربة.

ما كان ينبغي أن أتوسل أحد،
كان أجدر لو توسلت إلي
بأن لا أفعل.

***

لا تعط أزيد مما يطلب منك،
فلن يتورع عن مساواتك بالجميع
من كفيته مساعدة كل أحد.

***

لدى كلِ منا مخيلة،
لا أعلم لمَ تحرص على التجول بين أفكاري.

كان ما أسهل خداعي،
أنا الذي يعرف ما تقوله النظرة
لكنه يصدقها.

***

ما يظهر أحيانًا
على شخص يجلس بمفرده،
يشبه ما يكون عليه عدة أشخاص
يخوضون نزاعات حادة.

***

من يمنحك سببًا واحدًا لكي تحب الحياة،
لن يتوانى عن سرد كل الأسباب المنطقية
إذا ما ضاقت عليه حياته.

ما يزيد رغبتي في التعرف عليك
هو ذات ما يجعلني أخشى ألا تعرفني جيدًا،
فما للانطباعات الأولى لدي أي معنى.

***

شائكة أيامي،
وأتعس ما تكون أمنيتي
الحصول على فردة حذاء.

***

مر وقت طويل ولم أشعر بمروره،
لقد شعرت بمرارته.

ما فائدة شعوري العميق
وكل هذه الخدوش تطفو على سطح روحي.

***

ينتابك شعور بالغ اليقظة،
فما تجد ما تفعله سوى
معاينة هذا الفراغ الهائل.

***

ليس هناك حماسة أكبر
من شعور طفلة تفكك دميتها الناطقة
لكي تعرف من المتكلم،
وكيف تسير الأشياء بالداخل.

أحبك كما يفعل كل أحد،
هكذا ودومًا؛
فليس الحب سبق ونزال.

***

ليس كل ما تتذكره
تراه مثلما حدث تمامًا،
ولن تراه لاحقًا كما
تبادر إلى ذهنك آخر مرة.

***

لا شيء بعد الآن يخيفني،
الحياة لم تعد تمهلني حتى
أتنبأ بالمصاب الذي سيحل علي
أصبحت تعاقبني من فورها،
وهذا يخفف جلبة ظنوني ويحد من تشاؤمها.

أحب صدمتي لو جاءت منك،
على أن أعجب فيما يكون من
شخص لا أعرفه.

***

لم تعد الحواجز تكفي،
الكل أصبح يستطيع منح كلماته البشعة
القدرة على القفز.

***

لا يمكن للمزاج مهما بلغت تقلباته
ألا يعتدل بالقهوة، إنها حانية ومؤثرة،
كما لو كانت أم مشاعرك ولحظاتك،
وأبعد ما تفكر بموعد فطامك.

لقد قطعت شوطا كبيرا من التصورات،
مثلي مثل أي أحد لم تمنحه الحياة
خانة معتبرة منذ البدء،
وهذا أقل ما يمكن أن يقدمه المرء لنفسه؛
صور مستقبلية.

***

كل شيء في الحياة عرضة للاتهام،
حتى السبابة التي تشير بها إلى أحد بعينه،
أن تستثني فذاك يعني أنك ما زلت تثق في وداعتها
ولم تعشها حقًا.

***

-أشعر بالوحدة.
=وأنا أشعر بها.
- الوحدة؟
=الشعورين معًا.

يكفي لكي يبدو الصباح جميلاً
أن تدرك أنه كذلك،
فالأمر لا يتعلق بأحد.

***

مثل صورة شاملة لمسيرة كل أحد،
منذ البداية حتى النهاية،
من الشهقة الأولى إلى الزفرة الأخيرة،
يجيء الموت لكي يزيح إصبعك عن زر الالتقاط للأبد.

***

أكمل ما بدأت،
فلن يفيد التفكير في أمر قضاه قلبك.

لم يكن لدي ما أخسره،
الثمين حقًا هو وجود من يجمّلون حياتي،
وليس حياتي نفسها.

***

كان لا بد من حبك،
مالها الظروف بعد هذا العمر
تتيح للفراق جميع الخيارات؟

***

مدهش للغاية،
غير أنه مربك وغريب في الوقت ذاته،
أن تحب أحدًا لربما حتى اسمك لم يرد على مسمعه
من باب تشابه الأسماء.

كم تكون مضطهدا لو لمست
طفولتك بفعل قمت به،
بضحكة هيستيرية منبعثة من الأعماق،
أو إثر مشهد عفوي، ثم فجأة،
يقرص أذنك شعور من تكونه الآن.

***

لدي وعود كثيرة قطعتها على نفسي،
الذي تحقق هو كوني ما زلت أتذكرها فحسب.

***

مأساة العاقل ليست في الأغبياء
الذين يلقاهم في كل مكان؛
بل في العقلاء الذين يظنون
أن جميع من حولهم أغبياء.

إنه لا يمكنني رؤية الرماد دون أن يأخذ شكل
راية استسلام ملقاة على الأرض. تخيّل،
حتى في تصوراتي لم أنتصر،
وهذا ما يعادل كل هزائمي في الواقع.

***

أحبها لأنها أقل من عادية،
مثلي لا يحب المزايدة وكل أنثى في هذا الكون
جوهر ثابت بحد ذاتها.

***

من الجيد أحيانا أن تدرك عدم أهميتك،
حتى وإن كنت تتوسط فئة كبيرة
من الذين يحفلون بك باستمرار.

جميعنا لديه من ليس يغادر،
حتى في أعصف طقوس الذاكرة.

***

لم أصل إلى ما أريد لكني أسير على نحو جيد،
لقد رأيت هذا في وقوفي الحائر منذ وقت طويل،
على أن أختار أي الدروب أسلك.

***

إني مهدر،
مثل شعور غزير
تجاه شخص لا يشعر.

أحب لو أنني ما كنت من الأصل،
على أن أكون موجودًا ولكن لا أحد يراني.

***

أحب هذا النمط من العلاقات،
التي لا ترتكز على ما يقدمه الطرفان من تضحيات وبذل،
التي في سيرها تشبه الحب لكنها ليست حبا،
علاقة ما بعد العاطفة.

***

توجيه سؤال سمعت إجابته
من الشخص نفسه مرتين،
ذلك لا يعني التأكد من الإجابة
بقدر ما تريد التحقق من وجود
شخص يقف أمامك حقًا.

صمت،
أعمدة الإنارة تتفحص كأنما أضاعت شيئا أسفلها،
النوافذ تراقب كيف تلاعب النسمة الستائر، من هناك؟
الذي مر وحيدا شعر أن ثمة من يشاطره المكان.

***

تفوت اللحظات عندما ننساها
لا عندما ينتهي وقتها،
إنها مرتبطة بالشعور،
بالتفاصيل الدقيقة التي نحفظها جيدًا،
بأثرها الذي يبلغ مكانة غير عادية.

***

لا يتلخص الحزن في أن تقول كل
ما لديك وتعبر بطريقة أو بأخرى،
ثمة أحزان عصية على القول
والتعبير وعلى الفهم أيضا،
إنها تتوسع كلما حاولت حصرها.

لا أؤمن بالمصادفة،
تلك لحظات إما خططت
لها بغير قصد،
أو لم أتصور أنها ستبدو
بهذا الشكل:
دهشة فائضة عن حدود الموقف.

***

مثل كلمة ضئيلة تحل مكان شعور كبير،
الفراغ الذي يستحوذ يومك بأكمله.

***

يظل مريحًا:
خذلان الجميع
على كسب ثقة أني لن أخطئ أبدًا.

لتكن صديقي يا أيها الليل،
أحباب غد لديهم من لأجله يستيقظون.

***

الدقة في اختيار الكلمات تفقدك لذة الشعور بها،
فلا تكن انتقائيا في التعبير عن مشاعرك الخاصة،
ولا تعبأ لوضوحها من غموضها،
فهي ليست موجهة لأحد.

***

هو قلبي لكني أخافه،
مثل غريب تصرفاته أشد غرابة.

حصيلة ما تعلمته في حياتي حتى الآن،
أن أقول «لا» في وقتها المناسب.

***

كانت حياتي إلى أن أحببت،
فصرنا غريبين في جسد مليء بالندوب
والعهود المنقوضة.

***

لا تنشد النسيان،
فالأشياء التي ترغب في نسيانها
مرتبطة بدوامك،
بتوسع ذاكرتك كلما تقدم العمر،
إنها مجيدة وراسخة ما دمت تتذكر اسمك
ولون عينيك.

للصور أياد خفية تكفكف
دموع من يراجع فيها ذكرياته،
تغرقه، تنتشله، تحتضنه،
تلوح بأن لا عودة.
إنها تتحرك وفق شعورك اللحظي،
لا للحظة التقاطها.

***

تملّ جيدا من أبواب الغرف المفتوحة،
التي تأخذ شكل ابتسامة وديعة على الحائط،
فالذي يسكن بداخلها بمثابة القلب الخافق،
إن رحل عبست بوجهك للأبد.

***

ما يرهقني هو أنني ما زلت أترقب،
على الرغم من ثقتي بأن الذي أريد
الحصول عليه ضرب من المحال،
فمن يقنع هذه النفس أن تكف عن تعذيبي؟

البندقية التي تصوب نحو الزهرة
لا تعرف أنها تتمايل زهوًا وليس خوفًا،
فقط من اصبعه على الزناد يدرك ذلك.
هل ما زلت تظن أن القوة تفعل كل شيء؟

***

ما للبداية لدي أي معنى،
يهمني في النهاية من بقي،
من ظل إلى جانبي طيلة هذه السنين الموحشة،
تهمني النهاية ذاتها،
لأخبرها أن هؤلاء هم بدايتي.

***

ليس المرهق حدوث ما نخافه،
المرهق أن لا شيء يحدث.

السطور محض سلالم،
وعندما تكتب؛
فإنك تنقل صورة حية عنك
وأنت تهوي من مكان مرتفع.

***

جميل عندما تتخذ قراراتك عن قناعة تامة،
لكن هذا لا يعني فرضها على غيرك،
هي جميلة فيما يخصك وحدك،
لأمر تجازف فيه دون ملامة أحد وتكسب الرهان.

***

لا تكون الرغبة أحيانا
وجود يد تأخذ بأيدينا،
بقدر ما نريدها تصفعنا بلا توقف.

مثلما هناك أحد لا تريد استعادة ذكرياتك معه،
هناك من يتمنى زوالك من ذاكرته للأبد.
ليس كل شيء يدور حولك يعنيك وحدك،
جميعنا شركاء في لعنة ما.

***

يحسن لنفسه من لا يوصيك بكثرة،
من لا يقدم نصائحه في كل مرة
ليكون أحرص منك عليك،
فالنفس -وإن كان حبا- تنفر ممن
يتقمص دور الأمومة.
هذا صعب.

***

ما يجعلني أحبك؛
أنك لم تترك لي خيارًا آخرا،
أنا الحائر دومًا.

ما لأحد عليك منة،
الفضل يعود لهزائمك الكثيرة،
للصفعات التي تتلقاها مرارًا،
من يقول أنه ساعدك في فهم حياتك
هو لا يعرف شيئًا، الحياة لصاحبها.

***

كان مريحًا لو أنك رحلت دون إخباري،
هكذا بلا مبررات، بلا وداع،
أحب لو أفقدك فجأة بألم كبير،
على الأمل الذي تتركه يعبث بحياتي فترة طويلة.

***

نصيبك من الوقت ليس الذي تقضيه ساكنًا،
إنما المزدحم بتفاصيل لفرط حلاوتها،
تشعر أنه يمر ممزوجًا بإرهاق بالغ اللذة.

متأخر دومًا،
من ينتظر الوقت المناسب
لكي يقول كلمة عالقة في صدره.

***

عندما لا تريد مشاركة أحد بحزنه،
لا تضيق عليه الحياة أكثر مما هي صغيرة وخانقة،
دعه يتضجر ويبكي ويروح عن نفسه،
حتى وإن بدت لك الأسباب تافهة.

***

الكشف عن أحد أسرارك الصغيرة لا يعد خطيرًا،
ما يخيفك؛ أن الذي تأتمنه قد يدرك لاحقًا،
أن أتفه ما يعرفه عنك، هو المفتاح لما يود معرفته.

إن هزمتك الأجوبة
فإن كل شيء يستطيع النيل منك،
فهي أضعف ما يمكن أن
يواجه فيها الإنسان خصمه.

***

ليس كل ما يدفعك للحديث عن وحدتك
نابعًا من كونها مريعة، أحيانًا،
تضطر أن تبرهن شجاعتك للجميع،
بأن تعترف لهم أنك شخص ضعيف حقًا.

***

ما منشؤه الصداقة لا يتبدل مع مرور الوقت،
هو فقط يتوقف عند حد معين،
أما الذي ينجم عن الحب فهو لا يتوقف ولا ينتهي،
ويستمر في تحطيمك بلا رأفة.

نحن رهينة أشياء كثيرة فيما يتعلق بالذاكرة،
وأتفه ما يكون صرير الأبواب
حين يعيدنا للحظات حسبنا أننا نسيناها.

***

أخافك لا لأنك غريب،
بل لأننا نعرف بعضنا جيدًا.

***

ليست المشكلة في أنني أندفع بغباء،
ما هو أعظم ولا سبيل للسيطرة عليه،
أنني لا أكف عن اعتبار اليد التي تصافحني؛
بأنها لا يمكن أن تصفعني.

لا أملك حياة أسند عليها رأسي،
تانه بلا مصير،
وحين أموت؛ ذاك لا يعني أني رحلت عن الوجود،
بل وجدت من يأخذني بأحضانه.

***

يومًا بعد يوم تزداد قناعتي بأني قلت كل شيء،
ذلك لأنني لم أعد أستنكر صمتي المطول،
وأن رغبتي الملحة في الكلام؛
باتت وخزة أخفّ من أن تستنطقني.

***

يظل أبسط ما تفعله فارًقا لديك،
حين لا يتدخل أحد بشؤونك الخاصة.

ما يتوجب عليك فعله
إذا سمحت لأحدهم بدخول حياتك،
أن تخبره حالًا بأنك لست أكثر من شخص عادي،
قد تؤلمه أدنى كلمة تقال في حديث عابر.

***

حين تريد إثبات وقوفك لجانبي،
لا تلح في طلب التجاوز
عن أمر تعرف أهميته لدي،
فإما تشاطرني الموقف،
أو دعني أصعّده كما أريد حتى لا أختنق.

***

لا أفهم ما أتخيّل،
وهذا يعزيني عن الواقع،
حيث أعرف ما يحدث
لكني لا أستطيع تغييره لما أحب.

إن الذكريات لا تؤلمنا،
يؤلمنا أننا ما زلنا في نسيانها نفشل.

***

يعجبني من يتقن الصمت،
لكني لا أتمنى أن أكون غبيًا مثله،
فالموت أسرع من أن يمهلني وقتًا كي أخبرهم
أنه آتٍ وفي قلبي كلام لم أقله بعد.

***

ما يمنع صوتك أن يصل هو ثقل الشعور،
فالكلمة الممزوجة بالأسى بطيئة النهوض،
وإلى أن تفعل، لك أن تتخيل كم المشاعر
التي ستعلو عاتقها الهزيل.

بينما تسهر وحيدا تفكر بالغد،
هناك من يحاول نسيان الليلة الماضية،
بعد يوم وليلة؛ يعجزك نسيان يومك الفائت،
أنت الذي تثق بوجود من يفكر بالغد.

***

أشدد على يدي،
فليس شرطا أن تمنحني القوّة،
فقط اجعلني لا أصدق ذلك الهاجس:
الخوف من أن يكون وجودي زائفًا.

***

القادر على تسوية مزاجك،
الباحث عن سعادتك،
من يرسم في هذا الحشد الكبير ابتسامته
لكيلا تظن أنك تائه،
هؤلاء ما عادوا يبتسمون،
قضم الهم شفاههم.

خذ من عمري القادم يوم، يومين،
على أن لا تمنحني دقيقة إدراك
بأن أيامي الماضية لن تعود.

***

كم يكون صعبا عليك
أن تمر بحالة لا تعرف فيها ماذا تريد،
كما لا تعرف إن كان الذي تطلبه حقيقيًا،
أو مجرد وهم نشأ عن تداخل أفكارك ومشاعرك ببعضها.

***

يوما ما سيطير الصديق الذي باليد
وعليك أن تتحمل سخرية
من يكونوا على الشجرة.
فليس من طبع الحياة
الوقوف بصف أحد بشكل دائم.

من لا يُهزم لا ينتصر،
الذي لا يمنح لا يحصل على مقابل،
الواقف مكانه لن يقصده مراده،
إنها حياة الأضداد،
الوجود الذي سرعان ما يتحقق ضده.

***

لكانت مشاكلنا أقل تعقيدًا
لو أدركنا أن الكلمة البسيطة
لديها القدرة على الجرح والتضميد معًا،
لو أننا فقط نتنبه لألفاظنا.

***

لو أن الأمس ينتهي بكل ما فيه،
لما كان الماضي مثل هوة سحيقة
لا تمتلئ مهما تقادم الزمن.

رب نظرة
لها تأثير حوار شيق وطويل.

***

على صوتك مراعاة شرود ذهني،
فإذا لم أتأمل الكون من خلاله فأي شيء
يمكنه منحي هذه البساطة في التمعن.

***

ما ألمني لا أشكوه لأحد،
أنا فقط أقول ما لا يجعلني ارتكب هذه الحماقة
مهما بدا كلامي كثيرًا وغير مترابط.

الصدف الجميلة تكون كذلك لأننا لم نخطط لها
الكلمة العفوية تصل بليونة لأننا لم نحضر لها.
نحن من يفقد الأشياء رونقها.

***

كان سهلاً تجاوز مخاوفي باعتبارها حرصًا زائدًا،
أما الصعب هو كيف أصدق أنني لا أكذب علي.

***

كانت أحد أحلامي
ثم صارت شيئًا يصعب تفسير رغبتي في الحصول عليه،
هكذا تمامًا، مثل رغبة طفل يريد أن يكبر سريعًا
ولكنه لا يعرف ما السبب.

إنك لتفهم كل شيء دون الحاجة للصوت،
ففي الصمت لغة أبلغ من أن تنطق وتقال.

***

تنهال عليك الذكريات
حين لا تود استرجاع شيء مما مضى،
لا عندما تريد استحضار ذكرى لحق بها النسيان.
هذه الذاكرة متقلب دورها ما بين فتيل وشرارة.

***

الخجل من أن تبدو حزينًا
هو ما يجعل حزنك مضاعفًا،
لأنك أول من سخر من نفسه
ووضع من قدر مشاعره.

أن تحاول فهم ذاتك
هذا يشبه الحوار مع طفل صغير،
لا تعرف لاءه من نعمه.

***

الأحمق من يظن
أن الحياة لعبة لمن يجيد ادخار
أنفاسه لأطول فترة ممكنة.
من فاته أن يزفر شوائبها ويرتاح.

***

لقاء كل كلمة لا تقولها في وقتها الصحيح،
يحاصرك شعور الندم في الوقت غير الصحيح.

عند رحيل أحد الوالدين
تقف حياتك على قدم واحدة،
ثم تظل خائفا مكلوما مما تسره لك
في أيامها العرجاء حتى تقصيك أنت،
أو تفقد قدمها الأخرى.

***

ما زلت هناك،
أعد على أوتار أفكاري
كم بقي من الوقت لكي أرتجل بقصيدتي،
هناك بداخلي،
حيث لن يكترث أحد لهذا الإلقاء،
في تشييع ليس يحضره سواي.

***

الحائط
كناية عن «لا» ضخمة،
متى سقط ورضخ تتحول حجارته
لكومة قبول ليس لها جدوى.

لحدة النظر،
للشيء الذي أصب عليه تركيزي بغزارة،
للمسافة الفاصلة بين وثبة بصري والسقف،
هذا التحديق تذكرة عبور لحيوات أخرى،
ماضية وحاضرة.

***

لدى المرأة قدرة كبيرة على مواجهة كل شيء
عدا عاطفتها،
تخيل كم يكون ذلك صعبًا،
حين أن أرق ما فيها
هو من يعرضها لكل هذه الندوب والخسائر.

***

لا مزيد من التراخي، التجاوزات،
المجاملات التي لا تعود بشيء،
لا مزيد ولكن، أشكوني لمن؟
أنا الخارج عما أريد
والآخر الذي يلومني في آن معًا.

أي علاقة وثيقة لا تمر بمشاكل،
فهذه بحد ذاتها مشكلة كبيرة.

***

هات صوتك،
فالحياة كلمة
سواء زاد حديثنا أو قل،
فلنعشها.

***

ما أنا متأكد منه
يجانبني فيه الصواب،
الذي أختلف فيه مع ثقتي بعدم صحته
يصبح مؤكدًا.
هذه الحياة تعاقبني برفع يقيني من قدميه
ثم تودعه الأرض.

اقترف شيئا ما،
لا تدع الليل يمضي بلا علامة فارقة،
بلا مشهد تكون أنت بطله،
افعل ما تحب أن تعود لتتذكره
في ليل قادم لا يحمل سوى ظلمته.

***

رب ذاكرة قالت لصاحبها:
أخرج مني.

***

هناك فرق
بين من يخبرك أنه مطمئن بقربك،
ومن يصور لك كيف عاش فزعًا قبل أن يلتقيك.

العودة بالذاكرة إلى الوراء،
الوراء البعيد،
أصعب من أن تتنبأ ماذا
سيقع بعد مضي ثلاث ثوان،
فمثلما أنك لا تعرف الحاضر،
ثمة ماض لا يُستحضر.

***

قليلًا ما أستطيع صياغة مشاعري كما هي،
وكثيرًا ما أكون وحدي شاعرًا بها إنْ فعلت.

***

الدموع فائض كل شيء،
ما نعبر عنه بالكلمة والصوت
وحتى الصمت أيضا،
لا يمكن أن نكون عبرنا عنه بشكل كافٍ
واستنفدناه كليًا،
هناك ما يظل حسرة.

كنت أتصور كل شيء،
لمَ أخّرت مجيئك؟
كان عليك أن تخذلني مبكرًا،
حين لم يكن من توقعاتي أنك ستعود.

***

عديدة هي الصفعات التي تلقيتها
في سعيي وراء أحلامي،
كثيرة ومؤلمة،
كأنها من ضروريات تحقيق ما تطمح إليه نفسي،
بخدين موسومين بكفي الحياة.

***

لا أريد إذا قلت أني حزين تحزن،
فملاقاة الشعور بشعور مثله
ليس الأمثل في وضع كهذا.
الأجدر بك أن تنجدني،
تمد يدك نحوي وتنتشلني مني لا تغرق معي.

لبدا كل شيء على ما يرام لو أنك قلت: لا.
القبول أحيانًا عين ثالثة
ترى أشياء ما كنا لنهتم لأمرها،
أشياء عديمة جدوى.

***

بالتزامن مع كل مصيبة تقع على الجميع
هناك أخرى تخصك وحدك،
والسيء فيها ليس عدم شعورك بمأزق الآخرين،
السيء أنك تحمل خوفهم جميعًا
حيال مصيبتك.

***

كل شيء في حياتي سبق وإنجاز
ما دمت حتى اللحظة
لا أعرف أي طريق أسلك،
الوقوف الحائر لدي
بمثابة الركض المستمر،
وأقرب للهدف الذي لو تسرّعت أضعته.

ليكن شعارك،
أن اللحظات القادمة عمرك المتبقي
وينبغي أن تعيشها مثلما تحب،
وما يفوت منها يظل مجرد لحظة عابرة.
اخدع الحياة.

***

بعض الأحزان
كان يكفي صاحبها
لو أخبرته أنك تشعر به
لا أكثر.

***

كما لو أنك مطلي بالعمر،
أرى أيامي القادمة زاهية في وجهك.

يصبح لا وقت لدي للمعاينة والتبصر
حين أقدم على فعل شيء -أي شيء كان-
مما يتيح لي وقتًا أطولاً
حال رغبت في التحسر على فعلتي،
أو التلذذ كوني فعلتها.

***

لسوف تجد من يحبك،
فقط آمن بأنه يحدث لسبب
تفعله من تلقاء طبيعتك،
دون مساعٍ أو تصنع واستجداء.

***

في اللحظة التي سقطت دمعتك
هناك من كفكف دموعه،
فيما تتأهب لتستقبل أحدا تحبه،
ثمة من يصوت لأحبته بالبقاء.
اللحظة ليست مجرد ثوان، إنما أحوال.

أكره فيك
أنك تعلم إلى أي حدٍّ أحبك.

***

وكأن أحد ما يناديك بصوت خافت
ثم يختفي فور التفاتك،
هكذا تستدرجك الذاكرة
عندما تغفل عن ذكرى موجعة
ما كنت لترجع إليها مهما كلف الأمر.

***

كل شيء يغدو عتيقًا مع مرور الوقت
إلا نوايانا وأحلامنا الطفولية،
هي فقط تأخذ حيز قديم في ذاكرتنا دون أن تهرم.

المعنى العميق في «أخ»
يتجسد من كونها ناتجة عن ألم
لا يشعر به سوى أقرب الناس إليك.

***

شيئا فشيئًا وبصورة مدهشة
تقتنع أن الآخرين يحبون الذي تتقمصه،
لا الذي تكونه حقيقة.
بات الزيف سلعة باهظة الثمن.

***

شيئان فقط
لا يستطيع المرء التصريح فيهما:
معرفة كل شيء
لأنه ضمن الأشياء التي يجهلها،
وعدم المعرفة
لكونه أحد الأقليات التي يعرف عنها الكثير.

لكل شعور من الليل حظوة،
ولكل غائب في الذاكرة دور يؤديه
ثم يتيح المجال لمن بعده.
إنه يعج بالتذبذبات الحسية والفكرية،
ليل مكتظ عن آخره.

***

قدسية الأماكن
ليست في الذي تراه من حولك،
إنما في الشعور الذي يراودك
حتى وإن كنت بعيداً.

***

لكم وقفت في خيالاتي على حافة السقوط
ولم يكن في الواقع من يد تهرع لنجدتي،
لقد كنت أهوي، فأهوي، ثم
مثل شهاب أتلاشى بلمح البصر.

يكفي لتظهر بشكل لا يثير الشك
أن تظل صامتا،
بعض الكلام المنمق يدل على ورطة صاحبه.

***

عمدًا أتناساك،
حتى إذا ما تذكرتك شعرت أنني رأيتك مرتين،
واحدة بطوعي والأخرى رغما عن ذاكرتي.

***

كلانا لا يغيب،
عن لقاءات لا تحدث إلا في الذاكرة.

لم أندم يوما على لحظة ضعف
أو على موقف آثرت فيه البكاء على كبريائي،
نادم على اللحَظات التي حبست فيها دموعي
وأنا أحوج ما أكون إليه شعوري بهزالتي.

***

سعيد بالكاد
لكنني لست حزينًا،
كما لو أن مشاعري
توقفت عن البكاء منذ قليل.

***

ماذا قد يعود على من قُصّ جناحه
عندما تكون السماء صافية وفسيحة؟

علّمتني المسافات
أن الخطوة الأولى نحو من نحب،
هي الخطوة الأخيرة لعاشقٍ ما
في بُعدٍ مماثل.

***

بادر،
ليس ثمة ما يستحق أن تتأخر لأجله،
حتى وإن كان ما أنت بصدد قوله أو ارتكابه
لا يعود عليك بشيء،
فما من أسوأ على النفس من شعورها بالتراخي.

***

وحيد لكنني غارق بالتفاصيل، مشبع العاطفة،
أكاد لا أختلف عمن لديه معارف وأصدقاء كثر،
إذ حتى أنا كثير في نظري
ويمكنني القيام تجاهي بأدوار هؤلاء.

ليس حقًا لكنه لا يسمى خيالاً،
أن أشعر بيدك تشد على يدي
ثم أحاول التملص من المشهد بخفة،
دون أن يتنبه أحد لفرط حركة يدي.

***

افعل شيئا ما،
أكتب، أوجد حلاً لمشكلة انقضت،
ضع حاجزا في مخيلتك وكرر القفز من فوقه،
ول فكرتك الصغيرة حرصًا كبيرا،
اجمح بخيالك بعيدًا فهذا الواقع تعيس.

***

لو أن أحدا لم يفهمك،
فربما لأن ذاتك الأخرى من كانت تتحدث،
التي لحرقة ما ينبعث منها
حتى أنت نفسك
لا تفهم سوى أنك تشتعل من الداخل.

ليس ثمة مكان يتحامل على فوضويتك
وعبثك مثل ذاكرتك،
فبالنهاية أنت من سيعاقب نفسه بنفسه،
بالرجوع إلى ذكرى طويت مع النسيان؛
بصورة لصيقة للذاكرة.

***

يعزيني عن الواقع
أنني أستطيع بين الحين والآخر خداع ذاتي
أعيش حلمي كما لو كان حقيقة.
وهذا يبدو مريحًا،
أن أحتال علي ولا أمانع في الوقت نفسه.

***

سرّك أني لا أعرف ما هو السر حتى الآن،
منجذب إليك بصورة لا يسعني فيها التقصي وراء شعور
قد تكون لذته ألا أعرف ما سبب هذا كله.

لم يؤلمني السقوط،
ولا حتى بُعد المسافة وحدّة الارتطام،
آلمني أنني كنت أثق باليد التي دفعتني.

***

هباء تذهب أصواتهم،
فما أسمع..
أنا المملوء صوتك لا أعرف
كيف تعلّم النطق صمتك.

***

أتبعك
كما لو أنك على بعد خطوة واحدة،
أنا الذي لا أؤمن بالمسافات،
لم أستطع منع مخيلتي
من تصور هذا القرب المخادع.

مخرج:
أحاول الآن، كأي عابر يرحل سريعًا
أن أبتسم في وجهي ثم أغادرني.

"ماضٍ يرتديني"

لا أعلم إنْ كان حدوث هـذا ممكـنًا: أنْ يكـون دور روحي من كل هـذه الأحـداث هــو تسلُّم جسدٍ ملطخٍ بذنوب لستُ مؤهلاً للتكفير عنها، أنْ أكتشـفَ متأخـرًا أنَّ عقـلي كان ينقـل صورًا عن حياة شخص آخـر، ويكيّفنــي على تكملتها بدلاً منه، أنْ أتفاجـأ بعـد وقـوفٍ طـويلٍ عـلى ذكريات كثيرة ومؤلمة أنها لم تكن لي.

أحمد سالم